

القدس ملتقى الأديان

زكريا علي الغول

أمين القدس الشريف - الأردن

الملخص

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

فالأرض حول المسجد الأقصى مباركة، بعد أن وضع الله أول بيت للناس ببكة وذلك كما جاء في الحديث الشريف.

وحيث جاء البيوسيون إلى فلسطين من ييوس في اليمن قبل أكثر من خمسة آلاف عام أسسوا مدينتهم ملاصقة لأرض المسجد الأقصى وأطلقوا اسم ييوس على مدينتهم، وكانوا موحدين.

ثم جاءت النصرانية على يد المسيح - عليه السلام - وانتشرت في ربوع فلسطين والأردن وشمال الجزيرة العربية وفي جنوبها. وبقيت هي ديانة أهل الأرض المباركة حول المسجد الأقصى.

ثم جاء الإسلام ووصل إلى القدس التي سلمها بطريقها صفرونيوس إلى الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وأمن أهلها النصارى وكتب لهم وثيقة عرفت «بالعهدة العمرية».

أما الديانة اليهودية فلم يكن لها في أي يوم من الأيام وجود فعلى على أرض فلسطين قبل الاحتلال الإسرائيلي لجزء منها عام 1948م.

عنوان يشير إلى مكانة القدس وعلاقة الأديان بها وإلى أن الأديان لها الأفضلية وأن القدس تتميز بالتقاء الأديان بها بمعنى خاص وتفاعل مميز يختلف عن بقية مدن العالم التي توجد فيها الأديان نفسها.

ولعل السبب في ذلك أن أرض القدس مباركة من رب العالمين منذ عهد آدم وبعد الأربعين سنة بعد أن جعل الله أول بيت للناس على أرض مكة المكرمة ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٩٧) [آل عمران: 96-97]

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١) [الإسراء: 1]

فهذا المسجد الأقصى الذي وضع على الأرض بعد أربعين عاماً من وضع البيت الحرام في مكة المكرمة، كما جاء في الحديث الشريف: «عن أبي ذر الغفاري ... قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قال: قلت ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدرتكم الصلاة فصل، فإن الفضل فيه». (رواه البخاري).

علمنا وعرفنا من نص الآية مطلع سورة الإسراء، أن الله بارك حول الأقصى وذلك لعمومية بركته وقدسيته وروحانيته، وبذلك صارت لأرض بيت المقدس خصوصية تميزت بها ألا وهي البركة.

في القدس كان المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام - في فترة من أيام دعوته وفي القدس كان الرسول محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - في ليلة المعراج إلى السموات العلى. ومن القدس بدأت رسالة المسيح بالظهور والانتشار، وإلى القدس صلى المسلمون وكانت قبلتهم الأولى.

الديانة اليهودية

أما بالنسبة للديانة اليهودية فلم يكن لها وجود على أرض القدس أو فلسطين حين نزلت على موسى - عليه السلام - الذي لم يأت إلى فلسطين مطلقاً. وكذلك لم يأت داود وسليمان - عليهما السلام - إلى فلسطين في أي يوم من الأيام. وهذا واضح وبين مما يأتي هنا:

مجيء إبراهيم إلى ييوس

خرج إبراهيم - عليه السلام - من أرض العراق غريباً هارباً من النمرود بن كنعان الذي نقم على إبراهيم حين حطم الأصنام وتحدى النمرود الذي كان يدعي الألوهية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ ۗ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258]

وخرج إبراهيم ولوط كما يقول القرآن ﴿وَجَعَلْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 71] وليس لشعب دون الآخرين.

ولما وصل إبراهيم إلى مدينة ييوس⁽¹⁾ حول المسجد الأقصى قابله كاهن ييوس الملك صادق، وقدم لإبراهيم القرى ومنه الخبز وبارك إبراهيم. وقد قبل إبراهيم - عليه السلام - هذا القرى وقبل المباركة من الكاهن اليبوسي لأنه مؤمن بالله الواحد الأحد، ولو كان الكاهن غير ذلك لما قبل إبراهيم شيئاً من طعامه ولا قبل مباركته، وقد كانت بيوت العبادة المبنية في ييوس قبل مجيء إبراهيم مكان المسجد الأقصى عامرة تُؤدّى فيها الشعائر الدينية اليبوسية حتى وقت متأخر من القرن الأول قبل الميلاد.

إبراهيم - عليه السلام - كان عنده ابنه إسماعيل الذي أخذه وأمه إلى أرض الحجاز (برية فاران) كما سماها العهد القديم عند الحديث عن إبراهيم واسماعيل، عليهما السلام.

ويقول العهد القديم في سفر التكوين عن إسماعيل - الإصحاح 21، السطر 20 . وكان الله مع الغلام فكبر . وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس وسكن في برية فاران.

أما إبراهيم - عليه السلام - فيقول عنه سفر التكوين أنه عندما غادر مصر اتجه إلى الجنوب وليس إلى الشمال ولا إلى الشرق في اتجاه فلسطين. جاء في سفر التكوين الإصحاح الثالث عشر سطر -21- فصعد إبراهيم من مصر هو وامراته وكل ما كان له ولوط معه إلى الجنوب.

القرآن لم يذكر لنا شيئاً عن إبراهيم - عليه السلام - سوى ما تعلق بوجوده على أرض الحجاز، وأنه أعاد بناء الكعبة المشرفة ومعه ابنه إسماعيل، ثم خدمته للبيت الحرام، ثم نداء الناس بالحج وهدايتهم إلى مشاعره، وذبح الأضحية فداء عن إسماعيل، عليهما السلام.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا قَامَ إِبْرَاهِيمُ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: 96-97]

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٣٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: 26-27]

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: 37]

وأكتفي بهذه الآيات التي تدل على أن إبراهيم - عليه السلام - بعد خروجه من عند النمرود، وصل إلى البيت الحرام ببكة (مكة المكرمة)، واستقر بها مع ذريته، وتفرغ لإعادة بناء البيت الحرام والقيام على رعايته والأذان بالناس ليأتوا إلى البيت الحرام ويقيموا شعائر الحج، في منطقة برية فاران.

ومما يذكر هنا أن العهد القديم يقول حين الحديث عن خروج بني إسرائيل من مصر بحراً أنهم توجهوا إلى برية فاران؛ أي أنهم خرجوا من مصر إلى الجزيرة العربية وليس إلى فلسطين، كما سيأتي تفصيل ذلك في الحديث عن الخروج الإسرائيلي من مصر.

يعقوب، عليه السلام

عاش يعقوب نبي الله في مكان ما قريب من مكان إقامة ابنه يوسف في أرض صحراوية نوعاً ما أهلها بدواة. لم يكن فيها زرع وقمح وليست خصبة للزراعة، ولذلك كان يجلب التموين من بلد عزيز مصر وليس من فلسطين ذات الخصب والزراعة؛ لأن يعقوب كان بعيداً عنها في الصحراء المصرية⁽²⁾.

ولو كان يعقوب في فلسطين لما احتاج أن يرسل أبناءه بعيداً إلى أواسط مصر أو إلى جنوبها، حيث كان ملوك مصر وفراعنتها؛ لأن فلسطين بلد زراعي وأرضها خصبة ومن غير المعقول أن يذهب سكانها ليجلبوا المؤن من مصر. وأيضاً من غير المعقول أن يعيد يوسف إخوانه مرتين إلى مسافات بعيدة ويعذبهم ذهاباً وإياباً في طريقهم إليه ومن عنده.

ويوسف - عليه السلام - قال لإخوانه: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ

﴿٩٣﴾ [يوسف:93] ولما وصل يعقوب وأبناؤه إلى حيث يقيم يوسف قال لهم ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ ﴿١٠٠﴾ [يوسف:100]؛ أي أن يعقوب وأبناؤه وعياله كانوا في البدو؛ أي في أرض صحراء قفر.

بنو إسرائيل في مصر

بقي نسل يعقوب (إسرائيل) في مصر وعاشوا في ذل ومسكنة وعبودية عند الأقباط وعند الفراعنة الذين كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، ولذلك لم يتكاثروا بحسب سنة الحياة، وكما يتوهم البعض عن أعدادهم حين خروجهم من مصر.

وقد قال عنهم فرعون ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء:54]، وذلك حين هربهم ليلاً من مصر.

وكان لما كبر موسى قتل قبطياً كان يتعارك مع واحد من بني إسرائيل، فاضطر موسى للهرب والخروج من أرض مصر، أرض فرعون حتى وصل إلى مدين في أرض الحجاز قرب شاطئ البحر الأحمر (بحر سوف) غربي الجزيرة العربية، وجلس عند البئر وسقى لبنات كاهن مدين⁽³⁾، ثم عمل عنده سنوات عشرًا مقابل أن يتزوج إحدى ابنتي كاهن مدين اللتين سقى لهما.

ولما قضى موسى الأجل، أي السنوات العشر سار بأهله عائداً إلى أرض فرعون، وقد آتس وهو في أرض الحجاز من جانب الطور⁽⁴⁾ ناراً.

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [٢٩] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُكَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص:29-30]

والقصد من هذا السرد للآيتين الكريمتين التذييل على أن موسى كان على علم ودراية بأرض الحجاز وأنه عاش فيها عشر سنوات. وهنا كذلك بين الله - سبحانه - إلى موسى آية العصا وآية يده التي تخرج من جيبه بيضاء من غير سوء⁽⁵⁾، وأمره أن يذهب بالبرهان إلى فرعون وملئه، ولكن فرعون استكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق، فأخذ الله وجنوده ونبذهم في اليم؛ أي في البحر.

﴿فَقَالُوا أَنْوْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾ [٤٧] ﴿الْمُؤْمِنُونَ:47﴾، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [٤٣] [القصص:43]؛ أي بعد خروجه وقومه من أرض مصر نزلت التوراة عليه.

خروج بني إسرائيل من مصر

على الرغم من أن موسى بين الآيات والبراهين لفرعون، وطلب منه أن يؤمن بالله فإن فرعون بقي على جحوده وعلى كبريائه ويفرق بين رعيته وأتباعه. وبقي يعامل بني إسرائيل بالقهر والإذلال والتسخير والتقتيل. وقد طلب منه موسى مراراً أن يسمح لبني إسرائيل بمغادرة أرض مصر، ولكن فرعون رفض ذلك مراراً على الرغم من الآيات التي كان يراها من ابتلاء الله له ولبلده ويتوسل إلى موسى أن يدعو ربه ليرفع البلاء، ويتم ذلك، ولكن فرعون كان ينقض وعده لموسى بإرسال بني إسرائيل معه خارج أرض مصر.

وفي نهاية الأمر قبل فرعون أن يطلق بني إسرائيل، وسمح لهم بمغادرة مصر مع موسى.

ولما تم ذلك خرجوا من مصر متجهين إلى الشرق ثم إلى الجنوب على ساحل البحر الأحمر، كما أكد ذلك ما ورد في كتاب العهد القديم الذي كتبه بأيديهم بعد موسى بمئات السنين. والذي ينص على أن بني إسرائيل لم يتوجهوا إلى فلسطين، وجاء ذلك في سفر الخروج - الإصحاح 13/ سطر 17، يقول:

«وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدم في طريق أرض الفلسطينيين. فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف».

وهذا كلام صريح واضح يعترف بأن بني إسرائيل لم يتجهوا إلى أرض فلسطين حين خروجهم من مصر وإنما اتجهوا إلى الجنوب على ساحل البحر الأحمر. وصل يعقوب إلى مدينة العزيز في مصر نحو عام 1650 ق.م وقد أقام بنو إسرائيل في مصر 430 عاماً بعد ذلك حتى نحو عام 1220 ق.م - سفر الخروج/إصحاح 12/ سطر 40 «وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مئة وثلاثين سنة، وقبل خروجهم طلب بنو إسرائيل من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين⁽⁶⁾!!» الخروج/ 12/ 25 - 26. وخروجهم هذا كان تقريباً نحو عام 1221 ق. الميلاذ؛ لأنهم خرجوا بعد يعقوب 1650 ق. م. بـ 430 عاماً، فيكون تاريخ خروجهم 1220 ق. م.

لقد خرج بنوا إسرائيل ليلاً. من مصر واتجهوا إلى الجنوب على ساحل بحر سوف (البحر الأحمر) وكانوا يسيرون مطمئنين إلى خلاصهم من فرعون وجنوده، ولكن لم يهنؤوا بهذا الاطمئنان إذ أتبعهم فرعون وجنوده ومركباته وفرسانه، فلما أشرق النهار تراءى لهم جيش فرعون يتبعهم ويقترب منهم فعلاً الهرج بينهم، وأيقنوا بالهلاك وصاحوا على موسى لأنه أخرجهم من مصر ليموتوا على شاطئ البحر الأحمر، ولما اتجه موسى إلى ربه كما يقول سفر الخروج الإصحاح 14 / سطر 15:

«فقال الرب لموسى مالك تصرخ إلي. قل لبني إسرائيل أن يرحلوا وارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقه، فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة».

وفي السفر نفسه - الإصحاح نفسه - سطر 22 يقول:

«فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم. وتبعهم المصريون ودخلوا، وراءهم جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر».

ثم في الإصحاح نفسه سطر 26 يقول:

«فقال الرب لموسى مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين»:

وفي سطر 28 يقول: «فدفع الرب المصريين في وسط البحر، فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر»⁽⁷⁾. وكان غرق فرعون وجنوده في البحر الأحمر كما جاء في الإصحاح 15 / سطر 5، 6 «فغرق أفضل جنوده المركبية في بحر سوف تغطيهم اللجج. قد هبطوا في الأعماق كحجر».

والمقصود بسرد ما سبق عن خروج بني إسرائيل هو التنبيه ولفت النظر إلى أن الخروج كان عن طريق قطع البحر الأحمر من شاطئه الغربي في أرض مصر إلى الشاطئ الشرقي في أرض جزيرة العرب. ولم يكن الخروج فوق رمال سيناء كما يحلو لبعضهم أن يتخيلوه. أو كما يوقع بعضهم في الجهل العلمي ويأتون بهم إلى فلسطين على الرغم من أن ما أوردته في النص الواضح في الإصحاح الثالث عشر من سفر الخروج في السطر السابع عشر «أن الله لم يهد الإسرائيليين إلى أرض فلسطين مع أنها قريبة بل أدارهم في الاتجاه المعاكس على شاطئ البحر الأحمر أي متجهين إلى

«الجنوب».

وقصة خروج بني إسرائيل من مصر بحراً وليس براً وردت أيضاً في عدة آيات
وعدة سور من القرآن الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

1 - ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾
[البقرة: 50]

2 - ﴿فَانقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: 136]

3 - ﴿وَجَنُوزَنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُمُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا
يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: 138]

4 - ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال: 54]

5 - ﴿وَجَنُوزَنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى
إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: 90]

6 - ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الإسراء: 103]

7 - ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ
دَرْكًا وَلَا تَخَشَى ﴿٧٧﴾﴾ [طه: 77]

8 - ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه: 78]

9 - ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ
فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلْفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ
أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء: 62-66]

- 10 - ﴿ فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودُهُ، فَنَبَذْنَهُمْ فِي الْيَمِّ ط فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القصص: 40]
- 11 - ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزخرف: 55]
- 12 - ﴿ وَاتْرِكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الدخان: 24]
- 13 - ﴿ فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودُهُ، فَنَبَذْنَهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الذاريات: 40]

والمعنى أن الخروج من أرض مصر - كما بينه القرآن الكريم - كان عن طريق الدخول في الممرات التي يسرها الله لهم عن طريق فلق البحر وجعل أرض الممرات يابسة حتى تم خروج موسى ومن معه أجمعين، ثم أعاد الله البحر إلى سابق حاله وانغلق على فرعون وجنوده ومن معهم من المصريين، وهذا يؤكد أن الخروج من أرض مصر كان عن طريق قطع البحر الأحمر إلى الشاطئ الشرقي؛ أي إلى أرض جزيرة العرب. كما سيأتي تأكيد هذا الأمر.

ونعود إلى كتاب العهد القديم، إلى سفر الخروج الإصحاح الخامس عشر/ سطر 22، 23، 27 يقول بعد خروجهم من البحر:

«ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف وخرجوا فساروا ثلاثة أيام في البرية ولم يجدوا ماءً فجاءوا إلى مارة ثم جاؤوا إلى إيليم، وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك عند الماء». ﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة: 60]

وماء مارة (نبع مارة) يقابله ماء مرّ قرب منى في الحجاز، وجاء في كتاب أبي الفداء المتوفى عام 732 للهجرة نحو 1350 م قوله:

«بطن مرّ» وهي بقعة فيها عدة قرايا ومياه تجري ونخيل كثير، وهي عن مكة مسيرة يوم. وفي أيام نقص المياه بمكة ومنى يرد الحجاج بطن مرّ ويحملون المياه منه إلى منى.

ويقول أبو علي أحمد بن عمر بن رُسْتَه المتوفى نحو عام 900 للميلاد في كتابه «الأعلاق النفيسة» تحت باب الطريق من المدينة إلى مكة: «ومن عُسفان إلى بطن مرّ 43 ميلاً وهي قرية عظيمة حسنة، كثيرة الأهل كثيرة النخل والزرع، فيها بركة، يجري إليها الماء من جبل».

وأعود إلى تكملة مسيرة بني إسرائيل في البرية وارتحالهم من مكان لآخر وبأسماء ذكروها في كتاب العهد القديم، ومنها الموقع الذي ضرب فيه موسى الصخرة في (حوريب) فخرج منها ماء ليشرب الشعب، وذلك أمام عيون شيوخ إسرائيل، ودعا اسم الموضع مَسَّة، سفر / الخروج، إصحاح / 17، سطر 7.

ومسّة هذه موجودة على الخريطة المرسومة على داخل الغلاف الأول من الكتاب المقدس ومكانها على الخريطة واضح أنه في أرض الحجاز.

وجاء في سفر العدد الإصحاح / 12 / سطر 16:

«وبعد ذلك ارتحل الشعب من حضيروت ونزلوا في برية فاران». أي أنهم بعد خروجهم من الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر وتجولهم مع موسى - عليه السلام - في أرض الجزيرة العربية كان استقرارهم في برية فاران في الحجاز وليس في الأردن أو فلسطين. ومن هناك أرسل موسى جماعة منهم ليتجسسوا أرض كنعان في الجنوب كما سيرد هذا لاحقاً.

وبرية فاران هذه في الحجاز حول أراضي مكة المكرمة، وكما جاء في سفر التكوين / إصحاح 21 / سطر 20 عن إسماعيل - عليه السلام - «وسكن في برية فاران». وإسماعيل كان في مكة، وقد كلم الله موسى على الجبل بعد خروجه وقومه من البحر الأحمر والسير في البرية وكما جاء في سفر الخروج / إصحاح 24 / سطر 12:

«وقال الرب لموسى اصعد إليّ إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لוחي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم».

وفي إصحاح 25 / سطر 1-9 طلب الرب من موسى أن يأخذ من بني إسرائيل تقدمات (تبرعات) فيصنعون مقدساً للرب ليسكن في وسطهم «بحسب ما أريك من

مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون» ويستمر في الإصحاحات التالية - حتى الإصحاح الثلاثين - وصف المعبد أو المقدس. والسؤال أين بني هذا المقدس والمفروض أن يكون موقعه معروفاً لبني إسرائيل وأن يكون هو المقدس عندهم وليس الهياكل والمعابد التي بنيت بعد موسى، وهي قطعاً ليست في فلسطين حتى النصف الأول قبل الميلاد ولا في القدس حصراً.

وإذا كانت التوراة التي أعطيت إلى موسى مكتوبة على لوح حجارة، فلنا أن نتصور كم يكون عدد صفحاتها على الورق من أصل صفحات العهد القديم التي تزيد على 1300 صفحة. فمن أين جاءت كل هذه الصفحات؟ قطعاً من عند غير الله. بل كتبوها في فترات لاحقات لقرون وقرون بعد وفاة موسى، وعليه السلام. وهكذا، إن ما كتبه اليهود وأضافوه إلى التوراة وأسموه العهد القديم هو تاريخ تداخل فيه السهو والخطأ، وتداخل فيه عدم صدق الرواية بعد مرور الزمن، وتداخلت فيه العواطف والأمني والآمال بأنهم كانوا مثل الأمم الأخرى كالأشوريين والبابليين والفرس وغيرهم من الأمم التي كانت لها قوة وبأس وسيطرة على غيرها، لذلك وضعوا لأنفسهم تاريخاً من خيالهم صوروا فيه ماضيهم بأنه كان مميزاً بالقوة والجبروت واحتلال أرض الغير وبلادهم، وإفناء أهل البلاد وقتلهم وتعذيبهم، بل قتل حيواناتهم وإحراق مزروعاتهم وقراهم ومدنهم، وذلك من أجل أن يغطوا على الذل الذي كانوا فيه في مصر، وبعد الخروج الذي من الله - عز وجل - به عليهم انتقم منهم باتخاذهم العجل خلال الفترة التي أنجاهم الله فيها من فرعون ومن تعذيبه إياهم، ثم انتقام الله منهم بعد عصيانهم موسى ورفضهم التوجه إلى أرض العمالقة في وسط الجزيرة العربية وجنوبها؛ لأنهم جنبوا عن ملاقات أهل البلاد الموجودين هناك. فكانت ردة الفعل أن الذين كتبوا وأرخوا تخيلوا أشياء مما عند الأمم القوية ونسجوا لسلفهم تاريخاً مثله.

وكما جاء في كتاب «دراسات في تاريخ العرب القديم» للأستاذ الدكتور محمد بيومي مهران أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية في جامعة الإسكندرية، والكتاب صادر عن دار المعرفة الجامعية عام 1993. يقول الكتاب:

«ولا ريب في أن كل أقاصيص التوراة هذه ليس لها ظل من حقيقة، وإنما هي روايات سجلها يهود الأسر البابلي (539-586 ق. م) وبعد حدوثها بقرون وقرون. ولعل في بُعد الشقة ما بين وقوع الأحداث وتسجيلها ما يشفع في هذا الخلط العجيب، بل ما يشفع في المغالاة والتفاخر بما ارتكبت اليهود من مجازر، لم يكتب لها من أساس إلا في أذهان مؤلفيها، الذين شهدوا بربرية الآشوريين فخيّل إليهم أن أسلافهم مارسوا نفس اللون من القهر والإذلال»⁽⁸⁾.

وبعد أن أنزلت التوراة على موسى في الحجاز (أرجو الانتباه لاتجاه أرض كنعان).

جاء في سفر العدد الإصحاح الثالث عشر أن الله طلب من موسى أن يرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان، وفي سطر 17 يقول:

«فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا إلى الجبل⁽⁹⁾ وانظروا الأرض ما هي والشعب الساكن فيها أقوي هو أم ضعيف، قليل أم كثير وكيف هي الأرض التي هو ساكن فيها أجيدة أم رديئة، وما هي المدن التي هو ساكن فيها أمخيمات أم حصون. وكيف هي الأرض أسمينة أم هزيلة. أفيها شجر أم لا؟ وتشددوا فخذوا من ثمر الأرض. وأما الأيام فكانت أيام باكورات العنب». والملاحظ هنا أن موسى أرسلهم إلى جنوب برية فاران إلى جنوب الحجاز.

وفي نفس الإصحاح سطر / 25، 26:

«ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوماً فساروا حتى أتوا إلى موسى وهارون وكل جماعة بني إسرائيل إلى برية فاران»، وفي سطر / 28-29:

«وقالوا قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلاً وهذا ثمرها (عناقيد العنب الكبيرة) غير أن الشعب الساكن في الأرض معترّ والمدن حصينة عظيمة جداً، وأيضاً قد رأينا بني عناق هناك والعمالة ساكنون في أرض الجنوب».

والملاحظ أن موسى كان في الحجاز في بربة فاران التي رجع إليها المتجسسون الذين أرسلهم إلى الجنوب من فاران حيث أصعدهم إلى الجنوب وأطلعهم فوق جبال الحجاز. وقد غابوا أربعين يوماً. فما المسافة التي قطعوها إلى الجنوب وإلى أين وصلوا؟ أترك هذا التقدير للقارئ الآن ولكن أركز على أن أرض كنعان التي ذهبوا ليتجسسوها وعادوا منها كانت في جنوب الجزيرة العربية كما يقرر ذلك كتاب العهد القديم.

ولما جبن بنو إسرائيل عن التوجه إلى الجنوب وعصوا أوامر موسى - عليه السلام - بذل، عاقبهم الله بالفناء في شبه الجزيرة العربية لكل من بلغ العشرين من العمر فما فوق. كما جاء في سفر العدد/إصحاح14/ سطر29.

«في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين فصاعداً الذين تدمروا عليّ لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها». أي أن الله رفع عهده لهم بالسكنى في الأرض وكلمة لن، تنفي المستقبل.

ثم في نفس الإصحاح سطر/23:

«فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر» فناء بني إسرائيل كان في التيه في الحجاز ولم يبق إلا من هم دون العشرين عاماً، وهذا العدد الباقي ليس بالكثير الذي يعطيهم القيام بالأعمال الخيالية في اقتحام البلاد التي وصفوها بالقوة والمنعة والاعتزاز وبإفناء جميع أهلها مع مقتنياتهم وحرقتها والسيطرة عليها. وقال عنهم فرعون حيث خرجهم «إنهم لشردمة قليلون». وقال القرآن الكريم عن قلة عددهم ﴿فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّتُهُ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس:83]

والعمالقة أيضاً كانوا يسكنون في وسط الحجاز حول مكة المكرمة والمدينة المنورة، وجاء في كتاب الأعلام النفيسة الذي توفي مؤلفه ابن رُسْتَه عام 897م «حدث عن عثمان بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله التميمي وعن غيره من مشيخة أهل المدينة قالوا: كان ساكن أهل المدينة في سالف الزمان قوماً يُقال لهم صُعل وفالج

فغزاهم داود النبي - عليه السلام - . قالوا وكانت العماليق منتشرة في البلاد وكانت جرهم بمكة . وحدث عن عروة بن الزبير قال : « كانت العماليق قد انتشروا في البلاد فسكنوا مكة والمدينة والحجاز كله وعتوا عتواً كبيراً ، فبعث إليهم موسى النبي - عليه السلام - جنداً من بني إسرائيل فقتلوهم بالحجاز » .

وفي موضع آخر يقول : وكانت الحجاز آنذاك أشجر بلاد الله وأظهرها ماء ، قال وكان هذا أول سكنى ليهود الحجاز بعد العماليق .

وفي موضع آخر يقول : كان بالمدينة قرى وأسواق من يهود بني إسرائيل وكان قد نزلها عليهم أحياء من العرب فكانوا بينهم وابتنوا الآطام والمنازل فكان ممن كان مع يهود من قبائل العرب قبل نزول الأوس والخزرج عليهم بنو أنيف ، وهم حيّ من بلي قال بعضهم ويقال إنهم بقية من العماليق .

وفي موضع آخر يقول :

« كانت يثرب في الجاهلية تدعى غَلَبَة ، نزلت اليهود على العماليق فغلبتهم عليها » .

يقول ابن رُسْتَه في حديثه عن الكعبة والمسجد الحرام : إن إبراهيم لما أتى مكة ومعه زوجه هاجر وابنه إسماعيل « والعماليق حول أرض مكة وهو بنو عمليق بن إسلخا بن لوذ بن سام بن نوح » .

ثم يقول مؤلف الأعلام النفيسة في موضع آخر :

« ويروى عن علي بن أبي طالب أنه قال : انهدم البيت بعد إبراهيم وإسماعيل فبنته العمالقة ، ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم ، ثم انهدم فبنته قريش » .

فمما سبق يتبين أن العمالقة⁽¹⁰⁾ كانوا في الحجاز قبل اليهود وفي مكة والمدينة وأن اليهود نزلوا على العماليق وحاربوهم وغلبوهم في الحجاز وليس في فلسطين وأقاموا في يثرب قبل أن يأتي إليها الأوس والخزرج بعد خراب سد مأرب .

أما هارون - عليه السلام - فقد توفي خلال فترة التيه ، وبعده بسنوات ثلاث توفي موسى - عليه السلام - في صحراء الحجاز ودفن أيضاً هناك . ولم يخرج من الجزيرة العربية .

و حين جاء المسيح - عليه السلام - بالنصرانية كان اليهود في اليمن وهم الذين أوغروا صدر ملك تبع⁽¹¹⁾ على أن يحارب الذين تنصروا في اليمن، وذلك خوفاً على نفوذهم لدى ملك تبع وخوفاً من أن يُنصر أهل اليمن فيخسر اليهود مكاسبهم ومكانتهم بين السكان. وكان أن أحرق النصارى في الأخدود كما جاء في القرآن الكريم في سورة البروج: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾ [البروج: 4-7] والمؤمنون هنا هم الذين اتبعوا المسيح - عليه السلام - واعتنقوا دين النصرانية، الذي انتشر في جنوب الجزيرة العربية ومنها انتقل إلى الجهة المقابلة لليمن من جهة الغرب (الحبشة).

وجزيرة السامري: في بحر القلزم (البحر الأحمر) ويسكنها قوم من اليهود السامرية بعد وفاة موسى في صحراء التيه. حتى مجيء داود - عليه السلام - انقضت أكثر من أربعماية سنة فأين كان بنو إسرائيل وما تاريخهم في هذه الفترة من بعد موسى حتى مجيء داود وسليمان عليهما السلام؟.

قطعاً لم يكونوا في فلسطين لأنه لا تاريخ لهم فيها ولا آثار. وفي فترة حكم داود وسليمان لا تاريخ لليهود في فلسطين ولا آثار، وسبب هذا أنهم لم يكونوا في فلسطين ولم يحكموا فيها؛ لأن انتشار اليهود كان في الجزيرة العربية فقط. وأن السبي البابلي تم من الجزيرة العربية وكان بين المسيين جماعة من اليهود القاطنين في جزيرة العرب من أصل إسرائيلي، ومن غيرهم من العرب الذين اعتنقوا الديانة اليهودية خلال القرون السبعة التي سبقت السبي.

طريق الخروج كما جاءت في سفر الخروج

- 1 - «فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف⁽¹²⁾... وارتحلوا من سُكُوت ونزلوا في إيثام⁽¹³⁾ وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بني إسرائيل أن يرحلوا وينزلوا أمام فم الحيروت بين مَجْدِل والبحر، أمام بعل صَفُون مقابله تنزلون عند البحر»⁽¹⁴⁾.
- 2 - «فسعى المصريون وراءهم وأدركهم.. وهم نازلون عند البحر عند فم

- الحيروت أمام بعل صفون»⁽¹⁵⁾.
- 3 - ”ثم ارتحل موسى من بحر سوف وخرجوا إلى برية سور“⁽¹⁶⁾.
- 4 - ”ثم جاؤوا إلى إيليم وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك عند الماء“⁽¹⁷⁾.
- 5 - ”ثم ارتحلوا من إيليم وأتى كل جماعة بني إسرائيل إلى برية سين التي بين إيليم وسيناء في اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني بعد خروجهم من أرض مصر“⁽¹⁸⁾.
- 6 - ”ثم ارتحل كل جماعة بني إسرائيل من برية سين... ونزلوا في رفيديم“⁽¹⁹⁾.
- 7 - ”وأتى عماليق وحارب إسرائيل في رفيديم في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر في ذلك اليوم جاؤوا إلى برية سيناء ارتحلوا من رفيديم و جاؤوا إلى برية سيناء فنزلوا في البرية“⁽²⁰⁾.

طريق التحرك في الجزيرة العربية

جاء في سفر العدد:

- 1 - ”في السنة الثانية في الشهر الثاني من العشرين من الشهر ارتفعت السحابة من مسكن الشهادة، فارتحل بنو إسرائيل في رحلاتهم من برية سيناء فحلت السحابة في برية فاران“⁽²¹⁾.
- 2 - ”فقال موسى هو الشعب الذي أنا في وسطه أيذبح لهم غنم وبقر ليكفيهم أم يجمع لهم كل سمك البحر ليكفيهم“⁽²²⁾.
- 3 - ”ثم انحاز موسى إلى المحلّة هو وشيوخ إسرائيل فخرجت ريح من قبل الرب وسافت سلوى من البحر وألقتها على المحلّة“⁽²³⁾.
- 4 - ”ومن قبروت هناؤه ارتحل الشعب إلى حضيروت فكانوا في حضيروت“⁽²⁴⁾.
- 5 - ”وبعد ذلك ارتحل الشعب من حضيروت ونزلوا في برية فاران“⁽²⁵⁾.

- 6 - "ثم كلم الرب موسى قائلاً: أرسل رجالاً يتجسسوا أرض كنعان. فأرسلهم موسى من برية فاران"⁽²⁶⁾.
- 7 - "فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم اصعدوا من هنا إلى الجنوب"⁽²⁷⁾.
- 8 - "ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوماً فساروا حتى أتوا إلى موسى وهارون وكل جماعة بني إسرائيل إلى برية فاران"⁽²⁸⁾.
- وبما سبق يتبين لنا أن مكان استقرار موسى والشعب معه كان في برية فاران في غربي الجزيرة العربية.

سليمان كان في اليمن

وحكم سليمان كان بعد 476 عاماً من خروج بني إسرائيل من مصر إلى الحجاز، وهذا ما يؤيده قول كتاب العهد القديم في سفر الملوك الأول، الإصحاح السادس/ سطر 1:

«وكان في سنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل أنه بنى البيت للرب». (ثم يسترسل في وصف البيت الذي احتاج أكثر من سبع سنوات لإكمال بنائه، وأكثر من ثلاثة عشر عاماً لبناء قصره. فأين ضاعت آثار هذه الأبنية التي استغرق بناؤها عشرين عاماً.

والمهم فيما ورد أعلاه أن سليمان حكم إسرائيل في القرن الثامن قبل الميلاد وليس القرن العاشر، كما هو مزور في كتب المؤرخين أو جهلاً منهم؛ لأن خروج بني إسرائيل من مصر كان في عام 1221 ق. م. فلو أنقصنا منه 476 عاماً حتى حكم سليمان سكون الناتج 1221-476 = 745 ق. م. هو بداية حكم سليمان.

وهذا الناتج يكذب أن سليمان كان يحكم في القدس عام 963 ق. م. ويكذب أن سليمان كان مولوداً آنذاك أي قبل 218 عاماً من بدء حكمه.

والتاريخ 745 ق. م. لحكم سليمان يأتي مطابقاً لما هو معروف أن سليمان وبلقيس كانا يحكما في الفترة نفسها. فمملكة سبأ تكونت عام 800 ق. م. وبلقيس

لم تكن أول الملوك حين التأسيس بل انتهى حكمها في النصف الثاني من القرن الثامن، فمن هذين التاريخين يتأكد أن سليمان حكم في القرن الثامن قبل الميلاد واليهود يدعون أن هيكلاً بني في عهد سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد. وسليمان لم يكن مولوداً حينذاك. والقرآن الكريم يجمع بين سليمان وبلقيس في زمن واحد، وكذلك كتاب العهد القديم.

ومما يدل أيضاً على أن سليمان كان يقيم في اليمن ما جاء في القرآن الكريم في عدة آيات منها في سورة النمل.

1 - حكاية هدهد سليمان وبلقيس

يقول الله تعالى عن سليمان: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل: 20-23].

واللافت للنظر أن سليمان لما تفقد الطير كما كان يفعل يوماً لم يجد الهدهد، ولكن غيبة الهدهد لم تطل (فمكث غير بعيد) وهذا يعني أن مكان إقامة سليمان لم يكن يبعد آلاف الكيلو مترات عن بلقيس بل بضع عشرات الكيلو مترات التي قطعها الهدهد ذهاباً من عند سليمان إلى مكان إقامة بلقيس والعودة منها.

ويؤيد هذا الاستنتاج ما يقوله مؤرخو العرب عن قصر صرواح في اليمن، قبل مجيء الإسلام وبعده، إنه كان قصر سليمان. وإن قصر القشيب في اليمن أيضاً هو قصر بلقيس.

ثم إن سليمان لما أخبره الهدهد عن بلقيس وعرشها قال للهدهد في سورة النمل.

﴿أَذْهَبَ بِكَيْتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتِيْتُ إِلَيْكَ كَذِبًا إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُوْنِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: 28-31].

وهذا لم يأخذ من الهدهد وقتاً طويلاً حتى يأخذ الكتاب من سليمان وبلغه إليهم، ثم ينتظر ما ستقوله بلقيس ويرجع بالخبر إلى سليمان.

وتأتي بقية الحكاية حين أرسلت بلقيس هدية لسليمان حتى تجعله يكف عن طلب قدومها إليه وأهلها إن كان طامعاً في مال أو مكاسب.

ثم إن سليمان أعاد وفدها مع الهدية، وتوعد بأن يأتيها وقومها بجيش لا قبل لها ولقومها به. ولكنها استشارت قومها وتداولت بالأمر معهم، وقررت أن تذهب وكبار قومها إلى سليمان.

فلو كان بعيداً فكم من الوقت سيحتاج كل هذا..

2 - وادي النمل أين موقعه؟

جاء في سورة النمل في القرآن الكريم قوله تعالى عن سليمان: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل: 17-18].

ووادي النمل هذا موجود في مَخْلَافِ خَوْلَانَ رُدَاعِ فِي الْيَمَنِ.

3 - عين القطر:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ ۗ وَمِنَ الْجِنَّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ: 12]

والقطر هو النحاس. وعين القطر هذه موجودة في اليمن - تفسير ابن كثير.

4 - منسأة سليمان؟

جاء في سورة سبأ عن سليمان - عليه السلام -: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۗ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ

أَلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ [سبأ: 14].

الملاحظ هنا أن سليمان مات وهو واقف وكان متكئاً على عصاه ولكن القرآن الكريم قال عنها منسأة، وهذه الكلمة غير عربية ولكن أهل اليمن يعرفونها وأنها تعني العصاة بلغة الحبشة. واليمنيون جيران الحبشة ويتعاملون معهم، وهذا يعني أن سليمان كان متكئاً على المنسأة في بلاد تعرف معناها.

5 - الريح العاصفة المسخرة لسليمان

يقول تعالى في سورة الأنبياء:

﴿وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء: 81].

وهذا الكلام واضح يخبرنا أن سليمان لم يكن في أرض مباركة وأن الريح من عنده تجري إلى الأرض التي بارك الله فيها.

وسط الحجاز عند الوادي المقدس طوى وعند البيت الحرام وفلسطين عند المسجد الأقصى، كلها أرض مباركة وسليمان لم يكن مقيماً في أي منها. وهناك آيات أخر ولكن أكتفي بما أسلفت، ولعل القارئ الكريم يجد جديداً مفيداً من هذه الكتابة، والله ولي التوفيق.

جاء في كتاب، المسالك والممالك - ابن خرداذبة ص 145 «وقرى بناعط⁽²⁹⁾ على قصر مكتوب عليه بني هذا القصر سنة كانت مسيرتنا من مصر. قال وهب بن منبه فإن ذلك من أكثر من 1600 سنة نحو 350 ميلادي».

أما البيوسيون الذين بنوا مدينة القدس في موقعها الحالي الملاصق لأرض المسجد الأقصى من الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية فيظهر أن ديانتهم كانت التوحيد.

وقد أعلمنا التاريخ أن البيوسيين الذين جاؤوا من اليمن في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد قد حطوا رحالهم على أرض الأقصى من الجهة الجنوبية والجهة الجنوبية الغربية وأسسوا مدينة لهم على الجزء الملاصق لعمارة المسجد الأقصى الحالية، وجعلوا

أسواقهم وأماكن عملهم هناك وأماكن الحكم والقيادة على الجهة الجنوبية الغربية فوق صهوة الجبل الذي عرف باسم جبل صهيون، وجعلوا أماكن النوم إلى أقصى الجنوب في الوادي الذي عرف باسم وادي النوم (هنوم) بالكتابة الفينيقية التي تلفظ الهاء في آل أي آل التعريف فالاسم هو وادي (آل نوم) كما فصلت ذلك في كتابي: بنو إسرائيل لم يدخلوا فلسطين قراءة جديدة في القرآن والتوراة.

وقد بقي هؤلاء اليبوسيون في مدينتهم منذ تأسيسها حتى اليوم على الرغم من كثرة الغزوات والاجتياحات لمدينتهم التي بقيت محافظة على عروبته حتى خلال حكم غير العرب لها، ومثال ذلك أنها الآن محتلة من جماعة يحاولون طمس هويتها وهوية أهلها وتغيير معالمها وأسماء أحيائها والثقافة فيها واللغة. ولكن المحتل فشل ويفشل في أن يجعل أحداً ينسى لغته وثقافته، وينسى نمط حياته قبل الاحتلال بل يتشدد المواطن في الولاء لعروبته، ويسعى للمحافظة على أرضه، ويقاوم بأقصى طاقاته في سبيل تحرير وطنه وإن طال الزمن، وهؤلاء العرب الصامدون هم من أحفاد اليبوسيين العرب الذين جاؤوا إليهم ومن بعدهم من جهات أخرى عربية.

كان اليبوسيون عرباً موحدين، وكانت لهم معابدهم في القدس ولم تكن فيها أوثان أو أصنام. وكان لما مرَّ إبراهيم - عليه السلام - بفلسطين في طريقه إلى مصر ثم إلى أرض الحجاز ليسكن فيها عند بيت الله المحرّم ثم بناء البيت ثم تنظيفه وتطهيره ثم النداء بالناس للحج، أقول إن إبراهيم - عليه السلام - التقى بملك ييوس الملك صادق قبل مباركة هذا الملك اليبوسي وقبل طعامه. وهذا يعني أن إبراهيم التقى إنساناً طاهراً عابداً لله غير مشرك به قبل مباركته وأكل طعامه.

وبالمناسبة هذه عن إبراهيم - عليه السلام -، نفهم أن إبراهيم مرَّ بفلسطين ثم إلى مصر ومنها خرج جنوباً ومعه زوجته وكل ماله وأخذ لوطاً معه إلى الجنوب وليس شرقاً إلى فلسطين. «كما يقول سفر التكوين، إصحاح 13 سطر 1».

والقرآن الكريم يذكر لنا أن الله نجاه ووطاً إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين، ثم ذكر لنا أن إبراهيم في الحجاز عند البيت المحرّم ولم يربط مصيره في أي مكان آخر كفلسطين أو مصر.

وهذه آيات القرآن التي ورد فيها ذكر مسيرته منذ خروجه من بلد النمروذ
﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٣٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ
ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: 26- 27].

وكذلك يعقوب - عليه السلام - لم يكن في فلسطين في مدينة الخليل وهي
من أخصب أرض فلسطين. فلو كان فيها لما احتاج أن يذهب أبناؤه إلى صحارى مصر
في جنوب مصر لمسافات بعيدة ليحضروا التموين من هناك، ولو كانوا في الخليل لما
أعاد يوسف - عليه السلام - إخوانه لأكثر من مرة هذه المسافة الطويلة جداً. وحين
جاؤوا مع أبيهم ودخلوا على يوسف شكر الله، وقال: وجاء بكم من البدو وهم سكان
الصحراء عادة، وليس أرض الخليل التي كما قلت هي أخصب أرض فلسطين وأكثرها
ثمراً حتى اليوم.

عيسى عليه السلام والنصرانية

القول السائد بين الناس في العالم أن المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام
- ولد في مدينة بيت لحم، جنوب مدينة القدس بنحو ثمانية كيلومترات. وهي مدينة
جبلية في مستوى ارتفاع مدينة القدس؛ أي بنحو ثمانمائة متر عن سطح البحر.
هذا الارتفاع يعني أن مدينة بيت لحم تكون باردة شتاء، خصوصاً في أواخر
شهر كانون الأول (ديسمبر)، وهذا يعني للمتدبر أنها مكان بارد للولادة أولاً وأنها
مكان لا تكون فيه أشجار النخيل، ثم إن المعروف لنا أن مدينة بيت لحم ليست فيها
أنهار أو مياه جارئة.

ونظراً لما أوردته في الفقرة السابقة فإنه يتبادر لذهني وتفكيري وتحليلي أن ولادة
عيسى ابن مريم - عليه السلام - لم تكن في مدينة بيت لحم أو في أية مدينة جبلية
باردة جداً في أواخر كانون الأول (ديسمبر)، وليس فيها النخيل الذي يحتاج لأجواء
دافئة بل حارة كأغوار الأردن، لذلك أرجح أن تكون ولادة عيسى - عليه السلام -
قد تمت في غور الأردن الدافئ نوعاً ما في فصل الشتاء في الأغوار. وكذلك النخل

موجودة أصلاً في الأغوار ولا غرابة، والسريّ تحت مريم - عليها السلام - فالماء جار وموجود قبل ذلك وللآن.

والقرآن الكريم يذكر لنا أن مريم - عليها السلام - لما غادرت أهلها اتجهت شرقاً. فإن كان أهلها في القدس كما يقال فهي تركتهم واتجهت إلى الشرق أي في اتجاه غور الأردن الدافئ شتاءً. وفي مكان ما بين مكان أهلها وبين نهر الأردن كانت تتفرغ للعبادة، وكان زكريا - عليه السلام - يراها (وكفلها زكريا) حتى جاءها المخاض ولجأت إلى جذع النخلة لتستند إليها ريثما تتم الولادة.

ولما وضعت المولود يروي لنا القرآن الكريم، حديث المولود المبارك لأمه ليخرجها من حيرتها وتفكرها وقوله لها إن الله جعل الماء السري تحتها، والنخلة تبدي معجزة الله في فصل الشتاء بعد أن لم تعد عليها ثمار الصيف، ولكن بقدرة الله تعالى ما أن وضعت مريم - عليها السلام - يدها على النخلة وهزتها حتى تساقط الرطب ناضجاً جنياً سائغاً للأكل في واحد من أبرد أيام العام.

وهذه آيات القرآن الكريم تبين ما ذكرته:

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا خُتَّةَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا

أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبِرَّأِ بَوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ [مريم: 33]

مما مر ذكره يتبين أن المسيح - عليه السلام - وجد في منطقة دافنة في غور الأردن، ولعل وجود المغطس على ضفة نهر الأردن يؤيد ذلك.

أما بعد عودة مريم - عليها السلام - لأهلها فعندي تساؤل إلى أين عادت: إلى القدس أم إلى بيت لحم؟ لأنها لم تلد في بيت لحم، فلماذا اقترنت بيت لحم بقدسية الميلاد؟ لأن المسيح - عليه السلام - جاء إليها مع أمه وهو في الأشهر الأولى من عمره بعد أن انقضى فصل الشتاء والبرد معه واعتبرت فترة إقامته في سن الرضاع في بيت لحم فأصبحت بذلك مهداً لنشأته وليست مكاناً لولادته؟.

وفي بيت لحم قابلت مريم قومها وجاءت إليهم وهي تحمل مولودها الذي أشارت إليه ليجيب قومها عن تساؤلاتهم وأسئلتهم.

وهكذا ربما يكون عيسى - عليه السلام - قد كبر في بيت لحم وبدأ دعوته هناك ومن هناك.

ولد المسيح - عليه السلام - في عهد الإمبراطور الروماني إكنافيوس (أغسطس) الذي حكم من 24 قبل الميلاد إلى 14 م.

وقد اصطدمت دعوة المسيح - عليه السلام - بحقد اليهود وتخوفهم من اعتناق الناس لهذه الدعوة الجديدة التي إن ازداد أتباعها وقوي تأثيرها وانتشارها، فإن نفوذ اليهود سيقل ويضعف وتدرجياً سيخسر. لذلك سعوا بكل الوسائل الممكنة أن يوغروا صدور الحكام الرومان آنذاك بأن يحذروا من هذا الداعية، وأن يعتبروه خطراً على حكم الرومان في منطقة نفوذهم هذه، وهم في الواقع يسعون للمحافظة على نفوذ اليهود والمحافظة على مكانتهم أمام الرومان. فكان بإمكان حادثة محاولة صلب المسيح والتخلص منه نهائياً. ونحن نعلم كما أخبرنا القرآن الكريم أن ذلك لم يتم؛ لأنه بقدرته الله تعالى فقد رفعه الله إليه ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا

أَتَّبَعَ الظَّنُّ وَمَا قَلَّوهُ يَاقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ [النساء: 158].

لقد بقيت الدعوة راسخة في قلوب أتباع يسوع - عليه السلام - وصارت تحفظ في قلوب الأتباع الذين آمنوا بالمسيح ورسالته وشيئاً فشيئاً ورويداً ورويداً صارت تنتشر بين الناس.

لقد تعرضت الديانة المسيحية وأتباعها لكثير من المضايقات ومن المقاومة في القرون الأولى لمجيئها خصوصاً من أباطرة الرومان إلى أن جاء حكم الإمبراطور قسطنطين (306-337م)، حيث اعتنق الديانة المسيحية واعتبرها واحدة من أديان الإمبراطورية الرسمية (313م)، لكن المسيحية لم تصبح دين الدولة الرسمي إلا سنة (380م) (المسيحية والعرب/ نقولاً زيادة، ص 48).

في عام (451م) أصبحت للقدس بطريركية خاصة بها.

أباطرة الرومان والمسيحية

نيرون بعد احتراق روما وهو يتمتع برؤية النيران تحرق روما، فإنه بحث بنفسه عن مجرم سبب الحريق، فوَقعت النعمة على المسيحيين فأوقع هو بهم من أصناف الظلم والتنكيل والقتل والتشريد ما يصعب وصفه (المسيحية والعرب/ نقولاً زيادة، ص 46).

والإمبراطور الروماني تراجان الذي حكم بين (98-116م) اضطهد المسيحيين.

أما الإمبراطور هدریان فتغلب على اليهود واستعاد منهم بيت المقدس وقتل زعيمهم عقيبة في سنة 135 م ومنع اليهود من سكنى بيت المقدس، وحولها مدينة رومانية وسماها (إيليا كابيتوجلينا) (نفس المصدر السابق، ص 46).

وحيث جاء قسطنطين إلى الحكم (306-337م) فإنه اعتنق المسيحية واعتبرها واحدة من أديان الإمبراطورية الرسمية (313م)، لكن المسيحية لم تصبح دين الدولة الرسمي إلا سنة (380م). (نفس المصدر السابق، ص 48).

فالقدس كانت ملتقى الديانتين السماويتين النصرانية والإسلامية؛ لأن كلاً منهما استوعبت الأخرى، وعاش شعبها بأمن وسلام، كان يؤمن بقدسيته وبولائه لترابها في مودة وتراحم مع حرية اعتناق الدين المسيحي أو الإسلامي.

وقد عرف الله هذا العيش (وليس التعايش) في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّكَ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [البقرة: 82].

أما ما حصل في أيام حملات الفرنجة على القدس فهي لم تكن حملات نصارى يعرفون الكتاب الذي نزل على عيسى - عليه السلام - بل كانت حملات قام بها مغرضون تجار حروب أو غروا بها صدور حكاهم وشعوبهم بأكاذيب وروايات مزيفة.

وبقيت الحياة بين الشعب المقدسي العربي الواحد إلى الآن انسيابية طبيعية لا تفرق بين أفراد الشعب الواحد، دون النظر إلى عقيدته التي يؤمن بها وليست هناك حواجز عينية أو نفسية بين الناس في معيشتهم أو سكنهم أو اختلاطهم، ولا تستطيع أن تعرف ديانة أي من الموجودين في الأحياء أو نفس العمارات أو في المدارس أو المطاعم أو النوادي أو المتدييات، فليس هناك شيء فيها مقتصر على أتباع دين دون الآخر من النصارى أو المسلمين.

طبعاً، إن هناك من الذين يحبون إثارة النعرات الدينية، وهم من الغرب قطعاً وذلك لغايات فرق تسد، فإنهم لا ينجحون في جني شيء من ثمار سعيهم اللئيم، وإن من في القدس وفي فلسطين وفي الأردن لا يستمعون لأمثال أولئك الأجانب ولا يصغون للغوهم وكيدهم؛ فالوطن حيث ولدوا وحيث نشؤوا، أغلى عندهم من أولئك. وهذا ما نراه كلنا على أرضنا العربية التي تحتضن أبناءها، كلنا جميعاً من رحمتها.

وفي القدس في القرن الماضي ومنذ أيام الحكم العثماني فإن السكان لم يكونوا في حياتهم اليومية على أساس ديني بل على أساس أهل وجيران أصحاب وطن واحد

يشارك بعضهم بعضاً أفراحهم وأحزانهم وأعيادهم نصارى ومسلمين، فنجد المسلمين في القدس حاضرين في مواكب أعياد أحد الشعانين (عيد النخلة) وعيد الفصح المجيد وعيد العذراء وبنسب تزيد على أعداد النصارى؛ لأن الجميع يشعر أنها أعياد أهل المدينة ولم يكن أحد يشعر بالاستغراب أو الدهشة؛ لأن المفهوم لدى الناس أنهم جميعاً سكان مدينة القدس وأهلها والدين لا علاقة له بانتمائهم إليها؛ فهي مقدسة عند النصارى والمسلمين على حدٍ سواء وهم عرب أهل المدينة وسكانها.

وفي الدفاع عن مدينة القدس أمام المؤامرات التي تتهددها فإن أهلها - مسيحيين ومسلمين - كانوا جسماً واحداً ونسيجاً واحداً وعقلاً واحداً وتنظيماً واحداً مشتركاً أينما وجدت الهيئات أو المؤسسات العاملة من أجل مدينة القدس ومن أجل الدفاع عنها.

كل ذلك سببه سماحة الإسلام الذي لا يفرق بين أحد من رسل الله، ويحتوي أهل الكتاب أهل الذمة ويحرص عليهم حرصه على المسلمين.

الهوامش والمراجع

- (1) عن التوراة: "أما إبراهيم - عليه السلام - فقد خرج من مصر متوجهاً إلى الجنوب وبعدها إلى بركة "فاران"، بقول سفر التكوين الإصحاح 13.
- (2) كان يعقوب يتمون من خزائن الأرض لدى عزيز مصر، فلو كان في فلسطين وهي أرض خصبة وزرعها دائم فلماذا يرسل أبناءه إلى جنوب مصر ليحضروا التموين من هناك؟ وهذا يعني أن يعقوب كان مقيماً على أرض مصر نفسها.
- (3) كاهن مدين ليس النبي شعيب. والسقيا كانت من بئر ماء، يعني أنه لم يكن هناك نهر ولا وادي ماء وإلا لسقت النبات دون حاجة لمساعدة أحد.
- (4) الطور هو كل جبل عليه شجر. أما غير المشجر فهو جبل. وطور سنين أي الجبل المشجر لأن سنين هي جمع سينينيه، وهي الشجرة كما جاء في القاموس المحيط.
- (5) بيضاء: لأن بشرة موسى كانت داكنة. من غير سوء: أي بياضها ليس من مرض.
- (6) يعترفون بالسلب والاحتيال وباللصوصية في كتابهم.
- (7) البحر وهو البحر الأحمر وليس نهر النيل أو غيره من الأنهر كما يحلو القول لبعضهم؛ لأن النهر لا يغرق جميع الجنود وخيولهم ومركباتهم حتى لا يستطيع أن ينجو أحدهم حتى ولو سباحة.
- (8) نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم 3/322.

- (9) جبال الحجاز.
(10) «إن فيها قوماً جبارين».
(11) ذو نواس.
(12) الخروج 18/13.
(13) الخروج 20/13.
(14) الخروج 2،1/14.
(15) الخروج 9/14.
(16) الخروج 23،22/15.
(17) الخروج 27/15.
(18) الخروج 1/16.
(19) الخروج 1/17.
(20) الخروج 2،1/19.
(21) العدد 11/10.
(22) العدد 23/11.
(23) العدد 30/11.
(24) العدد 35/11.
(25) العدد 16/12.
(26) العدد 2،1/14.
(27) العدد 17/13.
(28) العدد 26،25/13.
(29) وناعط هذه في اليمن.

* * *

